هل للقرآن منطق خاص؟ ذهب البعض في تفسيرهم إلى علاقة النص بالواقع، أن البشر يختلفون في الكلمات، ولكنهم لايختلفون في الكلمة الأساسية التي هي الطبيعة، وهو ينقل في هذا عن إقبال أن مصادر المعرفة هي ليست النصوص بل الطبيعة والتاريخ.

إنه لكتاب مبين:

مشروع الجينوم القرآني

خالص جلبي
القصيم

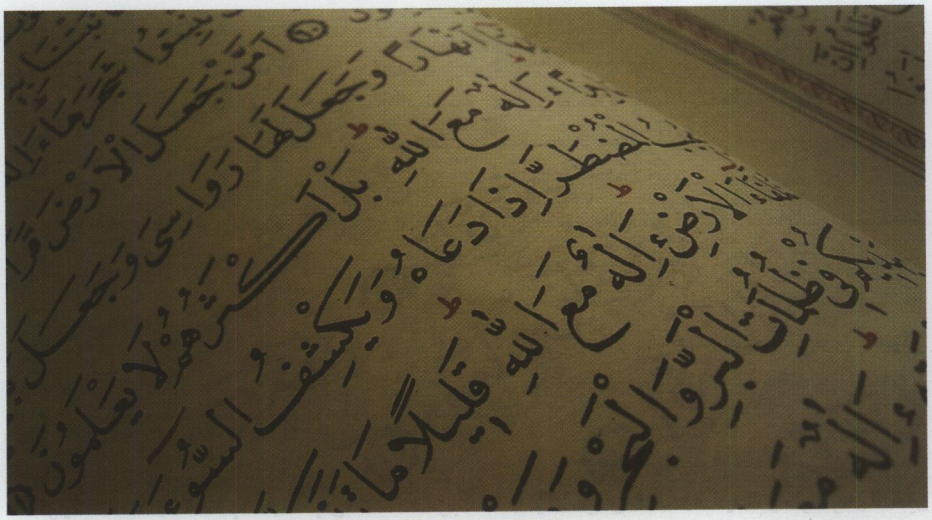

أما جماعة التفسير الرقمي؛ فقد حولوا القرآن إلى كتاب رياضيات، وقالوا أيضًا إن رقم ١٩ هو سر القرآن، كما ذهب شحرور في كتاباته أيضًا، إلى أن الأحرف التي تبدأ بها بعض السور يساوي مجموعها (ربما ١٣) اللغة الكونية التي سينطق بها الكائنات السماوية إن وجدت وتفاهمت..

وهناك جماعة السبعة المثاني أيضًا، أن كل ما في الكون خلفه سر الرقم سبعة؛ بدءاً من سبع دوائر إلكترونية تطوق البروتون، إلى سبع مرات في الطواف، وسبع طبقات للأرض وطبقات السماء وهكذا..

أما جماعة الإعجاز العلمي، فقالوا إن كل آية فيها إعجاز علمي، وحاولوا تصيد بعض الآيات، مثل نقص الأكسجين في الارتفاعات، من آية يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء، ولكنهم مضوا من الآيات التي يمكن أن يشم الواحد فيها بعضاً من الإثارة، إلى آيات بعيدة عن الإعجاز العلمي مسافة سنة ضوئية، ولكن الخيال عنده قدرة أن يمشي أسرع من الضوء؟

وفي الواقع لابد من الانطلاق بمشروع جديد لمنطق القرآن، وقد حدثني جودت سعيد في يوم عن مشروعه حول (أجنة قرآنية) و(آيات مفتاحية) مثل آية سورة العنكبوت عن السير في الأرض والخلق، أو الآية من سورة البقرة عن قرار خلق آدم وتخوف الملائكة من هذا الكائن المفسد وكيف كان جواب الرب أنه يعلم ما لايعلم الآخرون.

ومشروعه هذا يشبه اللوغاريتم في الحساب، بحيث يمكن الدخول على العديد من الآيات بهذه الطريقة..

ولعل كتب التفسير القديمة بتنوعها حاولت أن تحوم وبمناهج مختلفة شق الطريق إلى فهم منطق القرآن، ولكنه مثل من يحاول خرق لغات العالم أجمعين وهو طالب حضانة..

وكتب التفسير القديمة هي كما حدثني رشيد بن عيسى الجزائري يومًا أنها إضاءات للعصر، بمعنى أن كل مفسر أسقط مافي ذهنه من عصره على الآيات، وهذا يعني أن من يريد فهم مراد القرآن واستيعاب منطقه الداخلي، وهو يراجع تفسير ابن كثير مثلاً الذي يطبع ويعاد طباعته بدون ملل، يشبه جراحاً من أيام الفراعنة يريد معالجة استئصال ورم في الحفرة الخلفية من الدماغ..

ويمكن القول بدون تردد أن هناك من الطبقات التي تدفن معاني القرآن من تراكمات المفاهيم، ما يجب العودة للنص القرآني المرة بعد المرة للتجلي والبيان، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر.

والمهم فهذا الموضوع يؤرقني من زمن بعيد حتى تبلور في ذهني شيء، ولكنني عرفت أن الألمان سبقوني إليه، فكما فعل العلماء بفك الجينوم البشري في لوس آلاموس، كذلك يعكف حالياً فريقان من العلماء الألمان على فك الجينوم القرآني.

كان الجينوم البشري لفك الكود الوراثي الراقد كاللوح المحفوظ في بطن كل نواة خلية، كذلك الجينوم القرآني راقد لوحاً محفوظاً في نصوص تتلى للضمير إلى قيام الساعة.

يتمتع الجينوم البشري بثبات مذهل خلاف الميتوكوندريا في السيتوبلاسما، كذلك النص القرآني يتعالى على قول البشر بنظم خاص فليس هو بشعر ولا نثر بل قرآن عربي غير ذي عوج.

يحوي الجينوم البشري العضوي ثلاثة مليارات حمض نووي مترابطة على شكل جسر ملفوف صعودًا، ويتكون الكود القرآني من ١١٤ سورة و٦٢٠٠ آية في ١٨ جزءاً مكيا و١٢ جزءاً مدنياً، نزل دفعة واحدة إلى

السماء الدنيا، ثم نزل على مكث تنزيلاً، ونفهم ذلك الآن حين نرى أقراص الليزر ونقل المعلومات عبر القارات بكبسة زر.

وكما فتح مشروع الجينوم البشري الطريق إلى فهم الإنسان، كذلك فإن مشروعًا من هذا القبيل ينتظره العالم الإسلامي كوصفة خلاص نفسية اجتماعية للجنس البشري.

ومشروع الجينوم القرآني يبدأ حاليًا من أرض الجرمان بمشروع سموه (مشروع الماموت Mammutproject) نسبة للفيل العملاق المنقرض، بدأته عالمة ألمانية مستشرقة هي (إنجيليكا نويفيرث Angelika Neuwirth) بميزانية قدرها مليونا يورو ولفترة سوف تمتد ثماني عشرة سنة.

سوف يقوم الفريق الأول بوضع (بنك معلومات Databank) لكل ما يتعلق بالقرآن، والثانية في تحليل العمل الأول، ما يشبه دراسة التشريح والفيزيولوجيا في الطب، وما يلحقه مع علم النسج والتشريح المرضي، في محاولة فهم الجو الديني والحقبة التاريخية التي عاصرت انبعاث الإسلام، في محاولة إعادة تصنيعها للاقتراب من فهم أفضل للنص القرآني.

وأنا شخصيًا كنت قد عرضت أن نقوم بوضع لوغاريتم قرآني، على شكل آيات مفتاحية، وأجنة قرآنية، كما أشرت إلى ذلك، لتسهيل فهم القرآن على المسلم وغير المسلم المعاصر.

ومازال في نفسي هذا المشروع، وأنا أرى غيري من الألمان من يسبقوني إلى مشروع عملاق من هذا النوع، الذي نحن بأمس الحاجة إليه. هذه المرة سيؤدى بالدقة الألمانية المعهودة.

والفريق الأول الذي سيعنى ببناء بنك للمعلومات القرآنية سوف يحشد ويجمع كل ما يتعلق بالقرآن، مثل النسخة التي عثروا عليها في اليمن في السبعينيات (١٩٧٣م)، وكانت غير منقطة وبدون تشكيل؛ فمثلاً المستشرق (جيرد روديجر بوين Gerd-Ruediger Puin) يريد من خلال النسخة اليمنية إعادة كتابة الفترة الأولى من تاريخ الإسلام؟

وتقول مجلة المرآة الألمانية في عددها الأخير من عام ٢٠٠٧م والتي جاءت معنونة عن القرآن (الكتاب الأعظم أثراً في حياة الناس Das maechtigste Buch der Welt) وتقول كيف يمكن فهم الآيات التي تدعو للتسامح وتلك التي تدعو للقتال، وهل يمكن أن يظهر (تأويل) جديد للآيات؟ وأن يحدث إصلاح ديني كما تم في أوروبا بنهوض البروتستانت من رماد الكاثوليك والحروب الدينية.

إن تونبي درس التاريخ بطريقة الرجعى، ليكتشف أن عصر التنوير سبقه الإصلاح الديني، ومالم نفتح الأفواه في نقد الفكر الديني، ونطلق قيود المرأة والعقل والنقاش، فسعينا باطل ومستقبلنا كئيب؟

والسيدة نويفيرث (٦٤ عامًا) عاشت في الشرق فترة ويساعدها اثنان من الباحثين هما (نيكولاي سيناي Nicolai Sinai) و(ميشيل ماركس Michael Marx) هي التي ابتدعت هذا المصطلح (الجسم القرآني Corpus Coranicum) ودعت إلى دراسة متأنية لفهم المسلمين على نحو جدي.

وتقول السيدة أن القرآن سوف يوضع تحت المجهر كلمة كلمة، وسوف يدرس كرونولوجيًا، ودراسة السور ستكون مثل البناء الميكروسكوبي (microstructural).

ولكن الألمان بوجه خاص، ولعدم وجود تاريخ استعماري مع العرب، رشح اللغة الألمانية أن تكون اللغة الثانية بعد العربية في دراسات المستشرقين، ومن ينظر في عملهم للحديث الشريف يصاب بالذهول من دقة عملهم وصبرهم وطول اشتغالهم وإنفاقهم على الأبحاث.

وتقول السيدة نويفيرث أن مستشرقًا ألمانيًا من جامعة بون هو ستيفان فيلد ٧٠ عامًا (Stefan Wild) دعي إلى السعودية إلى المدينة المنورة للمرة الأولى للمشاركة في مؤتمر الإسلام والدراسات الاستشراقية، وقد ضم جدول التوصية في فقرته ٢٩ ما اقترحه الرجل من الجهد المشترك من المسلمين وغيرهم في الدراسات القرآنية.

وهكذا فعلينا الانتظار حتى عام ٢٠٢٥ لنرى ماذا يتولد عنه المشروع؟ ولعله سيكون مثل كتاب الكرونيك الرائع الذي تنتجه الثقافة الألمانية في كل فن، عن تاريخ المرأة، وتاريخ الطب، والمسيحية والقرن العشرين والجنس البشري، وسيضم له الآن الجينوم القرآني.. فكما فك الكود الوراثي في الخلية، فسوف يتم تفكيك الآيات وتاريخها ونزولها..

والقرآن يقول أو لم يكفهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل..

والقرآن يقول إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا..

والقرآن يقول عن الجن أنهم لما سمعوه انصرفوا، وقالوا لقومهم إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به.

ولعل جن الألمان سيكون مصيرهم مثل جن الجزيرة العربية!..

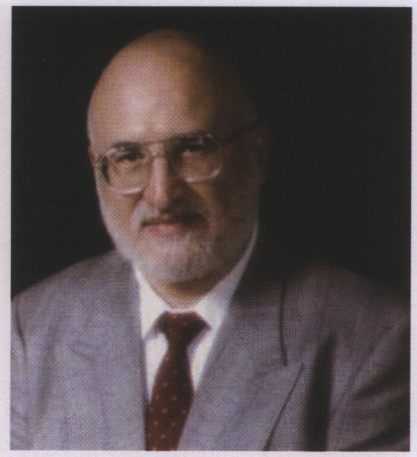

خالص جلبي

> القرآن سوف يوضع تحت المجهر كلمة كلمة، وسوف يدرس كرونولوجيًا، ودراسة السور ستكون مثل البناء الميكروسكوبي

> فتح مشروع الجينوم البشري الطريق إلى فهم الإنسان، كذلك فإن مشروعًا من هذا القبيل ينتظره العالم الإسلامي كوصفة خلاص نفسية اجتماعية للجنس البشري.